بسم الله الرحمن الرحيم

الباحث مصطفى بوهبوه[1]

الخلاف

مفهومه وأنواعه وعوامل تقليصه بين المسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

فإن الاختلاف سنة كونية من سنن الله تعالى في خلقه، كما أشار إلى ذلك الحق سبحانه في قوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)[2]. ومن تجلياتها اختلاف الليل والنهار، واختلاف الألسن والألوان مصداقا لقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)[3].

وحتى يكون الاختلاف ظاهرة طبيعية معتبرة، وآلية هادفة نافعة بعيدة عن الخلاف المذموم الذي يشتت الصف ويزرع الأحقاد بين المؤمنين، ويبدد الجهود المبذولة؛ جدير بنا أن نحيط بفقه الاختلاف من حيث مفهومه لغة

[1] – باحث دكتواره: تخصص مناهج العلوم في الحضارة الإسلامية وتجديد التراث

[2] ـ سورة هود الآيات: 118 / 119.

[3] ـ سورة الروم: الآية 22.

واصطلاحاً، وأنواع الخلاف والأسباب المؤدية إلى وقوعه،من أجل استخلاص بعض العوامل لتقليص وقوع الخلاف بين المؤمنين.

أولا: تعريف الخلاف والاختلاف

1ـ تعريف الخلاف لغة :

الخلاف لغة: مصدر خالف، كما أن الاختلاف مصدر اختلف، والخلاف هو: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف، قال سبحانه (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ)[4].

إذا الخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، وهو أعم من الضد، قال الراعب الأصفهاني مؤكدا هذا: "الخلاف: أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"[5].

فمثلا: السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان وليس ضدين، والخلاف أعم من الضديّة؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية[6].

2 ـ الاختلاف والخلاف في الاصطلاح:

الخلاف والاختلاف كما جاء في المصباح المنير هو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[7].

وعرفه الجرجاني في كتابه التعريفات[8] بأنه: "منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل".

3 ـ الفرق بين الخلاف والاختلاف:

أوضح الفرق بينهما أبو البقاء الكَفَويُّ رحمه الله في كليَّاته[9] من أربعة وجوه وهي:

" 1 ـ الاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفا، والمقصود واحد، والخلاف: هو أن يكون كلاهما ـ الطريق والمقصود ـ مختلفا.

2 ـ الاختلاف: ما يستند إلى دليل. والخلاف: ما لا يستند إلى دليل.

---

[4] ـ لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ج 9، مادة خلف، ص ص 90 91.

[5] ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/ 1992م: ص 294.

[6] ـ أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، لعوامة مُحَمَّد، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ/ 1998م، ص 11.

[7] ـ المصباح المنير في غريب شرح الوجيز، للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ص 179.

[8] ـ ص 135.

[9] ـ أبو البقاء الكفوي، ص 61.

3 ـ الاختلاف: من آثار الرحمة، فقد خلقنا الله مختلفين لا لنتصادم بل لنتكامل، تحت مظلة الاختلاف والتنوع كل يدلي برأيه وإن تباينت الآراء، أما الخلاف: من آثار البدعة يحدث في الأمة الشرخ والشقوق، ويخلق الأحقاد والضغائن ولا يوحد الأهداف بل يشتتها وتغدو كل فئة ولها هدف فتتصادم لتثبته.

4 ـ الاختلاف: لو حكم به القاضي لا يجوز فسخه من غيره، بينما الخلاف: يجوز فسخه.

وخلاصة قوله: إنه إذا جرى الخلاف فيما يسوغ سمي اختلافاً، وإن جرى فميا لا يسوغ سمي خلافاً.

ثانيا: أنواع الخلاف وأسباب وقوعه.

1ـأنواع الخلاف:

يمكن أن نقسم الخلاف إلى اختلاف تنوع واختلاف تضاد.

النوع الأول: اختلاف التنوع.

وهو ما لا يكون فيه أحد الأقوال مناقضا للأقوال الأخرى، بل كل الأقوال صحيحة وهذا النوع يكون في الأمور التي شرعت متنوعة، فيختلف العلماء في استحباب واحد منها، وتقديمه على غيره، مثال على ذلك في وجوه القراءات، فمن يقرأ مثال في الفاتحة: (مالك يوم الدين) وهو يعلم صحة قراءة من قرأ (ملك يوم الدين) فلا يكون هذا مناقضا لهذا، فالكل يعلم أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف كما ثبت في الحديث المتفق عليه، وكل هذه الأحرف ثابتة صحيحة قد نزلت من عند الله تعالى.

فهذا النوع من الخلاف بين الأمة أمره سهل يسير.

النوع الثاني: اختلاف التضاد.

وهو أن يكون كل قول من أقوال المختلفين يضاد الآخر ويحكم بخطئه أو بطلانه، ويكون في الشيء الواحد كأن يقول البعض بحرمته والبعض بحلِّه.

وهذا النوع من الخلاف مذموم خصوصا إذا كان في الأصول.

2 ـ أسباب الخلاف:

من الخلاف ما يكون مذموما، وأسباب هذا النوع من الخلاف يمكن إرجاعها إلى ما يلي[10]:

[10] ـ قاعدة مراعاة الخلاف وأثرها في الفقه الإسلامي، للعيد عباسة، ص صص ،47 ،48 ،49.

أ ـ الجهل: فكثير من الناس يجهلون الأمر المشروع المسنون الذي يحبّة الله ورسوله، والذي سنّه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب ـ الظلم والبغي: قد يقع الاختلاف بسبب ظلم بعض هذه الأمة لبعض، وبغي بعضها على بعض، وبسبب الظلم والبغي يقع النهي عن أمور شرعها الله على سبيل الوجوب أو الاستحباب، وقد يأمرون بما نهي الله عنه، وقد وقع أهل الكتاب في هذا المرض الخبيث، وذمهم الله بذلك، قال: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)[11]، وهذا الاختلاف يكون بسبب التباغض والتدابر والتحاسد، فيحمل ذلك فريقا على مخالفة الفريق الآخر في أقواله وأفعاله وإن كان حقاً.

ج ـ الهوى واتباع الظن: الهوى ما تهواه النفس، وتميل إليه، والهوى إن لم يكن محكوما بالكتاب والسنة يوقع في المذموم.

ونخلص مما سبق أن هذه الأسباب الثلاثة وما في معناها ـ كما قال أبو إسحاق الشاطبي ـ راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرُّص على معانيها بالظن من غير تثبت، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم[12].

ثالثا: عوامل تقليص وقوع الخلاف بين المسلمين.

لتقليص وقوع الخلاف بين المسلمينتقترح مجموعة من الخطوات هي بمثابة قواعد مهمة ينبغي التمسك بها قصد تدبير الاختلاف وإدارته بين المؤمنين.

1 : الاحتكام إلى الشرع.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[13].

وورد أن الصحابة ﷺ لما اختلفوا في فهم قوله ﷺ: "لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة". رجعوا إلى النبي ﷺ، فذكروا ذلك له فلم يعنف واحداً منهم.

2: الحوار الهادئ وبالتي هي أحسن.

---

[11] ـ سورة آل عمران: الآية 19.

[12] ـ الاعتصام، للشاطبي، طبعة دار الفكر، ج2/ ص 126.

[13] ـ سورة الشورى: الآية 10.

فإذا اختلف المؤمنون التجأوا إلى الحوار الهادئ و بالتي هي أحسن، فالله سبحانه أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن، حتى مع أهل الكتاب، قال الله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)[14].

3: الشورى بين المؤمنين.

من الأمور التي تسهم في تقليص وقوع الخلاف بين المؤمنين الشورى فيما بينهم، قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)[15]، وقال أيضا: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)[16].

وفي السيرة النبوية نجد أن النبي ﷺ قد أخذ بهذه القاعدة فكان يشاور أصحابه، كما وقع يوم بدر، وأحد، وحفر الخندق وغيرها من المواقف المشرقة من سيرة النبي عليه السلام.

وبهذه القاعدة أخذ كذلك الصحابة، وذلك لما وقع الخلاف حول مانعي الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ، فكان لعمر رضي الله عنه رأي ولأبي بكر رأي مخالف، بعد المناقشة والتشاور اقتنع عمر وباقي أصحاب رسول الله ﷺ بصحة رأي أبي بكر فاتبعه الجميع في ظل المحبة والصفاء والإخاء فيما بينهم، وعلى هذا النهج ينبغي أن نسير.

4: تفعيل دائرة المتفق عليه.

عملا بقاعدة : "نتعاون فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه"، مع مراعاة المصلحة؛ لأن القاعدة تخضع للاجتهاد، والنظر وتغيير الأحوال. وهذه القاعدة ينبغي أن تكون شعار المسملين فيما بينهم ومع غيرهم.

5: الوضوح وعدم التعتيم.

من مبادئنا الوضوح والمكاشفة، سواء فيما بيننا أو مع غيرنا، وكثير من الخلافات ربما تكون بسبب إشاعة مقصودة، أو انطباع سيء لم يكن مبني على علم صحيح، أو فهم صحيح، وإلى غير ذلك من الأمور.

فينبغي على المسلمين الالتزام بالوضوح، وأن يفهم بعضهم بعضا قبل الاختلاف.

---

[14] ـ سورة العنكبوت: الآية 46.

[15] ـ سورة آل عمران: الآية 159.

[16] ـ سورة الشورى: الآية 38.

6: الاستفادة من علم الإدارة في الخلاف.

هناك كتب كثيرة في إدارة الخلاف بين الأفراد والمؤسسات والشركات، يمكن الاستفادة منها من أجل تقليص وقوع الخلافات بين المؤمنين.

ونخلص مما سبق أن من أخذ بهذه القواعد فقها وعملا، أحسن إدارة الاختلاف وتجنب الخلاف مع إخوته المسلمين ومع غيره.

فهرس المصادر والمراجع:

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ ـ لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ج 9، مادة خلف.
- ✓ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/ 1992م.
- ✓ ـ أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، لعوامة مُحَمَّد، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ/ 1998م.
- ✓ ـ المصباح المنير في غريب شرح الوجيز، للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ✓ ـ أبو البقاء الكفوي.
- ✓ ـ قاعدة مراعاة الخلاف وأثرها في الفقه الإسلامي، للعيد عباسة.
- ✓ ـ الاعتصام، للشاطبي، طبعة دار الفكر، ج2/ .